دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	التحصينات الدفاعية في سلطنة عمان : نظرة في الموروث الحضاري
المصدر:	المجلة العربية للثقافة
الناشر:	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
المؤلف الرئيسي:	المديلوي، علي بن راشد
المجلد/العدد:	مج 26, ع 50
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2007
الشهر:	مارس
الصفحات:	41 - 79
رقم MD:	353785
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	البناء ، الحصون ، سلطنة عمان ، القلاع ، الآثار ، التراث العربي ، التصميم المعماري ، التراث الثقافي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/353785

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

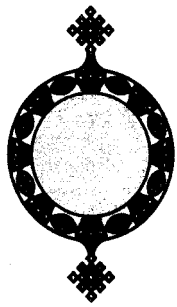

التحصينات الدفاعية في سلطنة عمان
نظرة في الموروث الحضاري

أ. علي بن راشد المديلوي *

المقدمة

خضعت التحصينات الدفاعية لموازين ثابتة وهندسة دقيقة، فكان لكل عنصر من عناصرها الدفاعية وظيفة. وقد أقيمت على تلال وهضاب لها مناعة طبيعية تسهّل عملية الدفاع عنها سيّما وأن آلات الهجوم كانت في بادئ الأمر بسيطة. وكانت الأسوار في البداية تبنى من اللبن ثم تطوّر الفكر الهندسي تدريجيًا فاستخدم الحجر بالإضافة إلى اللّبن والروابط الخشبية حتى لا يتداعى السور إذا ما اشتدّ الهجوم. ثم زاد المعماريون في سمك الأسوار مع أنهم لم يدعموها في البداية بأبراج لاعتقادهم في ذلك الوقت بعدم جدواها إذ أنّه لم يكن أمام المهاجم سوى تسلّق السور أو نقبه من الأسفل وهو ما جعل المدافعين يقفون على السور محاولين منع المهاجمين من الاقتراب منه. ثم لجأ المعماريون إلى بناء أسوار التحصينات فوق منحدرات صخرية لمناعتها، وقد واجهوا مشكلة انهيار بعض المنحدرات بما عليها من قلاع نظرا لأن تلك المنحدرات ليست دائما صلبة فلجأوا إلى بناء السور إلى الداخل قليلا ثم دعّموها فيما بعد بالأبراج.[1] ولزيادة التحصين عمد المخطّطون إلى إنشاء منحدرات صناعية، فقد كانوا يضيفون إلى المنحدر خندقًا يملؤوه بالماء عند الضرورة فيحمي المنحدر بحاجز مائي. وقد أدّى حفر الخنادق

* نائب مدير دائرة القلاع والحصون بوزارة التراث والثقافة – سلطنة عمان.

1 – حاجي إبراهيم، محمد، القلاع وتطور الفكرة الهندسية (مسقط، 1987)، ص 190.

إلى ضرورة استخدام جدران مائلة حول الأسوار بدلا من المنحدرات حيث تبيّن فيما بعد أن الانحدار في الجدران المائلة يكشف المهاجم ويجعل تسلّقه صعبًا ويعرّضه في النهاية لضربات المدافعين. ولشدّة خوف المخطّطين المعماريين من أن يصل المهاجم إذا ما استبسل إلى المنحدرات أو الجدران المائلة فينقبها، لا سيما أنها كانت مبنية من اللّبن، فقد ستروها بغطاء واقٍ من الأحجار بهدف منع عملية النقب أو الهدم[2]. وهكذا نجد أن الفكر الهندسي أخذ يتطوّر شيئا فشيئاً بحسب الظروف والمواقف التي مرّ بها حتى تبلور مفهوم الفكر الهندسي فأبدع هذه التحصينات التي نراها اليوم شامخة تحكي لنا قصة تطوّرها فصلاً فصلاً.

القلاع والحصون لغة واصطلاحاً

القلاع والحصون لغة

القلعة

القلعة في اللغة هي الحصن الممتنع في جبل، كما إنها المكان المشرف صعب المرتقى، وجمعها قلاع وقلوع[3]. والقلعة بهذه المعاني ترمز إلى قوة الإبداع لدى العقل البشري للسيطرة على الأرض وهو يسعى لحماية نفسه من كوارث الطبيعة أو من الأخطار باللجوء إلى الكهوف أو أعالي الجبال، فمن الطبيعي إذن أن تكون القلعة بالنسبة للإنسان هي العلو والأمان.

الحصن

الحصن هو كل موضع حصين لا يوصل إلى جوفه، من حصن المكان يحصن حصانه فهو حصين: منيع والجمع حصون، وحصنت القرية إذا بني حولها[4].

القلاع والحصون اصطلاحاً

القلعة

هو استحكام حربي يُبنى في منطقة إستراتيجية كالجبل أو التلّ أو الروابي الصخرية أو على سواحل البحار. وتقتصر مهمة هذه المباني على المراقبة والدفاع ضد الاعتداء

2 – المرجع نفسه، 196، القلاع والحصون في عمان (مسقط، 1994)، ص 67–65.

3 – إبن منظور، لسان العرب، (1994)، ص 290.

4 – المرجع نفسه.

الخارجي، ولذلك فهي عادة ما تتكوّن من مجموعة من الأبراج والمراقب والمزاغل وتعني فتحات رمي السهام وفتحات المدفعية وما إلى ذلك من المباني الحربية.

كما تمتاز القلعة بأن ساكنيها هم من العسكر والجند، ولا مجال لإقامة المدنيين بها، لذلك نستطيع القول إنّ الحصن قد يشتمل على قلعة أو أكثر ضمن مبانيه. أما القلعة فهي وحدة معمارية قائمة بذاتها وقد تكون منفصلة عن الحصن أو قائمة في داخله شريطة أن يكون الموقع الذي شيّدت عليه موقعًا إستراتيجيًا[5].

الحصن

هو أكبر عمائر الاستحكامات الحربية وإن لم يكن أمنعها، وهو كل بناء يحيط بمساحة من الأرض ليحميها ويحصّنها ضد أي اعتداء من داخل البلاد أو خارجها. وهكذا فإن أسوار المدن كانت تعرف في العصور الوسطى باسم الحصون، مثال ذلك سور مدينة بغداد ومدينة القيروان ومدينة فاس ومدينة عمّان والعديد من أسوار المدن المحصّنة[6]. ويوجد في عُمان سور مدينتيْ بهلى وجعلان بني بو حسن وسور قرية الحزم، وأسوار مسقط وإبرا وكذلك أسوار كل من مدينة صلالة وطاقة ومرباط وغيرها من المدن والقرى العمانية التي كانت لها أسوار تحيط بها لتحصينها ضد أي اعتداء[7].

على أنّ المباني التي تحصّن المدن أو القرى أو الأحياء، لا بدّ وأن تتميّز عن الأسوار العادية باحتوائها على أجزاء معمارية خاصة، القصد منها الحماية والتحصين والمراقبة، تعرف باسم الأبراج والسقاطات والمراقب التي يجب أن تتواجد فيها باستمرار حامية من العسكر والجند. إلا أنّ وجود هذه الحامية من العسكر لم تمنع أن يكون في هذه التحصينات الكثير من المدنيين الذين يقومون بالخدمات العامة الأخرى أو بالزراعة خصوصًا داخل أسوار المدن[8].

وقد تطوّر استخدام الحصون في العصور الوسطى وحتى بداية العصر الحديث تبعا لتطوّر النظم الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك الوقت ونعني بها النظم الإقطاعية.

---

5 – أنريكو دريكو، «المباني التاريخية الحربية في عمان منذ القرن السادس عشر»، (1980)، ص 22.

6 – سعاد محمد ماهر، «الاستحكامات الحربية في مسقط»، ندوة الدراسات العمانية (1980)، ص 134.

7 – عمان في التاريخ، (1995)، ص 279.

8 – سعاد محمد ماهر، المصدر نفسه، ص 134.

فلم يعد الحصن معقلاً فحسب بل أضحى المقرّ الطبيعي لإقامة الأمير أو الملك أو السلطان وأتباعه. فكان الطابق الأول من مباني الحصن يحوي الآبار ومخازن الأسلحة وعتاد الحرب الثقيلة اللازمة لمقاومة حصار طويل. أما الطابق العلوي فقد خصّص لمرامي السهام والبنادق وفتحات المدفعية والمواد السائلة وغيرها من القذائف التي تستخدم ضد العدوّ المهاجم، في حين استخدم الطابق الأوسط للأمير وأسرته وبعض أعوانه.

وفي عمان استخدمت معظم الحصون كذلك مقرّاً للأئمة والسلاطين والأمراء والولاة حتى بداية النصف الثاني من القرن العشرين. وكان الحصن هو مركز الحكم التقليدي في عمان مهما كان لدى الحاكم من القوة أو الضعف. وكانت تحيط بهذا المقر أو الحصن الأسوار الضخمة بأبراجها العظيمة ومنافذها وبوّاباتها العالية التي تحيط بها الأبراج من جانبيها وتقوم على حراستها قوّة من العسكر ببنادقهم وأسلحتهم وأعلامهم، وكان الأهالي يقيمون داخل تلك الأسوار[9].

ولما كانت الغاية من إقامة تلك الحصون والقلاع بعمان هي التحكّم في المنطقة التي تشرف عليها، فقد اختيرت لها في معظم الأحيان، وبخاصة الساحلية منها، مواقع استراتيجية هامة، فهي غالباً ما تشيّد مقامة على الصخور أو الجبال أو في أي موقع مناسب يشرف على وادٍ أو سهل لإحكام السيطرة عليه.

الإرهاصات المبكرة للتحصينات العمانية

تُعدّ عمارة التحصينات الدفاعية في عُمان قضية جديرة بالبحث والدراسة، فمعرفتنا بهذا الفن المعماري يتيح لنا الالتفات إلى الوراء لتتبّع أصوله خلال مسيرة المجتمعات العمانية منذ أقدم الأزمنة وحتى عصرنا الحاضر. وقد كانت عمارة التحصينات العمانية من قلاع وحصون وأبراج وبيوت محصّنة نتاج عوامل مشتركة تضافرت جميعها لإبراز هذه المعالم التحصينية. وكان للبيئة وعوامل الجغرافيا اليد الطولى فيها، ذلك أن موقع عمان على الطرق التجارية البحرية الشرقية شكّل همزة وصل بين شبه الجزيرة العربية من جهة وبين أفريقيا والهند وغيرهما من جهة أخرى. وقد أغرى هذا الموقع سكانها باحتراف الملاحة منذ أزمنة مبكرة لدرجة أن ملّاحيها كانوا معروفين في موانيء العالم البعيدة. وكان تجّارها على اتصال دائم بتجّار البحار عموما، ولم تكن عُمان همزة وصل

9 – حاجي إبراهيم محمد، القلاع والحصون، (1994)، ص 33.

فحسب بل كانت أيضا ملتقى التجارة من مختلف أنحاء العالم لتبادل السلع والبضائع، كما إنها كانت دوماً عرضة للأخطار ومطمعاً أغرى كثيرًا من الدول للسيطرة عليها.

وهكذا كُتب لهذا المجتمع أن يضع لبنات تحصيناته الأولى منذ الأزمنة المبكّرة وأن يؤسّس لإدارته العسكرية. ولأجل ذلك كلّه كانت لعمان مؤسساتها العسكرية، وكانت لها تحصيناتها البنائية المتميّزة، خصوصًا إذا ما عرفنا أن صناعة مواد البناء كانت مزدهرة، وأن عمليات التحجير كانت منتشرة، وأن منتجاتها من الحجارة كانت على مستوى من الجودة. وقد أسهمت بدور فاعل منذ عصور ما قبل التاريخ في بناء العديد من دور العبادة والتماثيل في بلاد ما بين النهرين[10]، كما أن نشوء مثل هذه الصناعة لا بدّ وأن يستتبعه توافر عمالة واعية بمقتضيات عملها ومدرّبة على ممارسته، وربّما كان من بينهم المتخصّصون في الأعمال المتعلّقة بها كالبنّائين والنجّارين والجصّاصين والحدّادين والمهندسين والمعماريين وغيرهم مما يقتضيه تنوّع أساليب البناء وتأسيس بنية المنشآت العسكرية في البلاد[11].

وتُعدّ المستوطنات السكنية والمدافن المكتشفة أهم الأدلة المميّزة على وجود الإنسان في عمان خلال فترة أواخر الألف الرابع وأوائل الألف الثالث ق.م. وإحدى هذه المستوطنات هي تلك التي ترجع إلى الألف الثالث ق.م والموجودة في بات في عبري، وميسر في سمد الشأن، وفي هيلي في أبو ظبي[12]، لذلك فهي تحظى بأهمية خاصة. وقد تمكّن العلماء من الإجابة عن بعض التساؤلات عن حياة الإنسان في هذه المستوطنات خلال تلك الفترة. ويشير تحليل المواد النباتية التي تم العثور عليها في هذه المواقع إلى أنه كانت تتم زراعة عدة محاصيل مختلفة مثل الحنطة النشوية والقمح والشعير والذرة إلى جانب محاصيل الحبوب. كذلك كان المستوطنون يزرعون الشمّام، كما كانوا يحصدون بعض النباتات البرية مثل الشوفان البرّي وبذور العنّاب[13]. وباتت التمور تشكّل بديلاً غذائيًا متزايد الأهمية وذلك في أعقاب انتشار زراعة أشجار النخيل[14]. وهذا دليل على أن المستوطنات الزراعية في جنوب شرق شبه الجزيرة العربية كانت تعتمد على زراعة

10 - Yule, P.and Gubla, "**Rid the Ancient Mesopotamian Royal Stone Originate in Oman**," pp. 141-153.

11 - عمان في التاريخ، (سلطنة عمان، 1995)، ص 260.

12 - K. Frifelt, (1976), "**Evidence of a Third Millenium B.C. Town in Oman**", p. 58-59.

13 - T. Berthoud, S. Clenziou, (1983), "**Farming Communities of the Oman Peninsula and the Copper of Makkan**", pp. 21-40.

14 - **Ibid**, pp. 239-246.

أشجار النخيل. وقد أدّى الاهتمام بالزراعة في العديد من المناطق في عمان إلى تطوّر أنماط الحياة المختلفة في الواحات التي ميّزت مستوطنات الأودية في المنطقة. كما لعبت الحيوانات كالأغنام والماعز والماشية دوراً هاماً في تنمية اقتصاد الواحات وتطويره.

وهكذا قامت القرى الزراعية الأولى في عُمان على أساس زراعي خلال هذه الفترة المبكرة، ولكي يوفّروا الحماية لاستثماراتهم في الأرض والماء والموارد الطبيعية، شعر سكان هذه القرى بأنهم مضطرّون لبناء تحصينات تحميهم إذا ما داهمهم خطر محدق. لذا، ظهرت المباني الدفاعية في هذه المستوطنات منذ بداية الألف الثالث ق.م.[15]

وقد تمّ اكتشاف نماذج من هذه التحصينات في كل من بات وميسر ووادي عندام والهيلي والبدية وتل أبرق، وهي عبارة عن أبنية مستديرة على هيئة أبراج يتراوح قطرها بين 25–16 متراً. ولعلّ برج تل أبرق الذي يبلغ قطره 40 متراً يعتبر أكبر هذه النماذج المبكّرة. وقد ظلّ هذا البناء مستخدماً حتى القرن الثاني ق.م، مع بعض الإضافات التي أدخلت عليه خلال هذه الفترة الطويلة[16].

ومن الناحية الأثرية فإن مستوطنة هيلي تشكّل أهمية كبيرة لما أمدّتنا به من معلومات بالغة الأهمية عن فترة الألف الثالث ق.م. فقد تم الكشف عن عدّة مباني تحصينية متعاقبة يعود أقدمها إلى بداية الألف الثالث ق.م. هو عبارة عن مبنى دائري الشكل يبلغ قياس كل جانب من جوانبه نحو 16 مترًا، وبلغت أبعاده 45–50 سم وسمكه حوالي 8 سم، ويحيط به سور دائري. وأما داخل البناء فهو مقسّم إلى حجرات مستقلّة تفصل بينها جدران ضيقة، وقد انتظمت الغرف في صفّين متقابلين تتوسّطهما غرفة طويلة ضيقة، وبجانبها ثلاث غرف مربّعة الشكل، وتتصل هذه الغرف بعضها ببعضها الآخر بممرّات قصيرة، ويوجد في وسط البناء بئر ماء في أسفله ما يشبه الغرفة الصغيرة، ويعتقد بأن مهمتها تصريف المياه، وقد بني من اللّبن.

وكان عثر أسفل أساس المبنى الذي قام عليه الجدار على موقدين للنار يرجّح أنهما استخدما أثناء عملية البناء، حيث قدّر أنهما يرجعان إلى سنة 3100 ق.م حسب التحليل الكربوني (C14)[17].

15- **Ibid**, pp. 240–242.

16- D. Potts, (1989–1993), **Four Seasons of Excavations at Tell Abraq**, pp. 117–118.

17- Berthoud and Clenziou, p. 22 .

أما في بات فقد تم تحديد مواقع لستة أبراج حجرية ذوات قواعد مربّعة محاطة بمنازل مستطيلة الشكل. وقد لوحظ أن ارتفاع أحد هذه الأبراج الستة يفوق العشرة أمتار، وتتوسّطها آبار للمياه صفّت حولها حجرات بصورة منسّقة وأحاطت بها خنادق بعرض 4 أمتار وعمق يصل إلى 5 أمتار. وقد افترض الفريق الدنماركي بأن هذه الأبنية ربّما كانت أبراجًا أو حصونًا بنيت لحماية المستوطنة من هجمات المعتدين، وقد تبيّن أن تاريخ أكبر هذه الأبراج بعد إجراء التحليل الكربوني (C14) يعود إلى 2750 قبل الميلاد[18].

وقد لاحظت البعثة البريطانية خلال مسحها الأثري الذي أجرته في عمان سنة 1974 وجود قاعات مسوّرة مستديرة بنيت من حجارة كبيرة في فرق والروضة بالقرب من بهلى وفي اللبانة وفي الخطم وفي وادي الهجر بالقرب من عملا. ويبدو من خلال الملاحظات التي دوّنتها البعثة البريطانية أنها انقسمت إلى ثلاثة أنواع: فهي عادة ما تكون قاعات مستديرة مبنية بكتل من الحجارة الكبيرة على أرض مستوية أو مبنية على نتوء صخري، وإما أن تكون تسويرًا لفناء فيه بقايا بناء مستطيل، أو تسويرًا خارجيًا لبناء يضم سوراً داخلياً حول كثيب أو نتوء طبيعي في الوسط. ولم تستطع البعثة البريطانية أن تعطي رأيا محدداً حول هذه المباني إن كانت ذات مغزى ديني أو أنها أبنية دفاعية[19] إلا أننا نرجّح أن تكون هذه الإنشاءات قد بنيت لأغراض الدفاع عن المستوطنات المنتشرة على الأودية في هذه المنطقة.

نستنتج مما تقدّم أن عملية البناء والتشييد ومنها القلاع والحصون وغيرها من التحصينات الدفاعية في عمان يدعمها إرث حضاري تمتدّ جذوره إلى ما قبل التاريخ الميلادي، وما زال هذا الموروث يتفاعل مع تطوّر حركة العمران بحسب الظروف والأحوال التي تكتنف الواقع العماني، وتستمد منه عملية التنمية في سلطنة عمان الإلهام.

عناصر التحصينات الدفاعية

الارتفاع

أقيمت بعض القلاع والحصون العمانية على تلّ مرتفع ليصعب الوصول إليها وليمكّن القلعة من تحصين نفسها ومن الإشراف على المواقع أسفلها. ويكون في هذه الحالة سفح المبنى منحدرًا شديد الميل كما هو الحال في الحصن الأسود في مقنيات وحصن نخل

18 - Frifelt (1976), p. 58.

19 - De Cardi, (1976), "**Survey and Excavations in Central Oman**", pp. 109–110.

وحصن سمائل وقلعتي الجلالي والميراني في مسقط، حيث تبرز أهمية عنصر الارتفاع في هذه التحصينات لترجيح كفة المدافعين ولكشف المنطقة والسيطرة عليها[20]. ويعتمد على المنحدر الصعب للمرتفع الذي يقوم عليه المبنى ويكون الوصول إليه من خلال طرق متعرّجة وملتوية. على أن أهمية عنصر الارتفاع بدأت تتلاشى عند ظهور المدفعية لأن ارتفاع القلعة يجعلها في مواجهة فوهات نيران المدفعية[21].

مصادر المياه

لا تقلّ منابع المياه ومجاري الوديان أهمية عن غيرها من العوامل، ذلك أن هذا العامل كان من أهم العوامل في اختيار مواقع بناء التحصينات وضرورة المحافظة عليه، إذ أن توافر المياه كان العنصر الأكثر إلحاحا على مرّ العصور وإلى يومنا هذا. وقد اتضح ذلك في عمان منذ عهود مبكرة، حيث أظهرت الكشوفات الأثرية في عمان أنّ من شروط قيام المستوطنات القديمة توافر مياه للشرب بالقرب منها، ولذلك نشأت القرى الزراعية الأولى بالقرب من مصادر المياه كمستوطنة بات في عبري وميسر في سمد الشأن وبسيا في بهلى ومستوطنات وادي عندام وغيرها[22]. ولأهمية هذا العنصر شيّدت بعض القلاع والحصون في عمان بالقرب من منابع المياه ومجاري الوديان، كقلعة العوامر الواقعة على وادي حلفين في المنطقة الشرقية، وحصن مِضاء الواقع على وادي مضاء، وحصن بدبد الواقع على رأس وادي سمائل وحصن الراوية وغيرها[23].

وقد حفر المعماريون آبارًا عميقة جدًا ذات درج يؤدّي إلى قاع البئر كما هي الحال في جلّ التحصينات العمانية لتزويد المدافعين بماء الشرب والوضوء ولملء الخندق وقت الحصار. وشقّوا كذلك قنوات (أفلاج) تغذّي القلاع بالمياه كما هو الحال في حصن بيت الرديدة وحصن بدبد وحصن الحزم والرستاق وبعض التحصينات العمانية الأخرى.

الخنادق

تشكّل الخنادق عنصرًا هامًا من عناصر الدفاع عن القلاع والحصون، وتقف عائقاً أمام تقدّم القوّات الغازية. وجرت العادة أن تعبّأ الخنادق بالمياه عند توافر مصادر تغذيتها كالأنهار أو الأفلاج والينابيع.

---

20 – حاجي إبراهيم محمد، القلاع والحصون في عمان، (1994)، ص 63– 74.

21 – حاجي إبراهيم محمد، المرجع السابق، (1987)، ص 292.

22 – Hastings, A. Humphriesm, "**Oman in the Third Millenium B.C.**", (1975), p. 10–11.

23 – سعاد محمد ماهر، المرجع السابق، ص 135– 136.

ويُعدّ حصن صحار في صحار وحصن الخندق في البريمي مثالاً لهذا الأسلوب في عمان حيث يحيط بحصن الخندق خندقٌ واسعٌ عرضه 7,5 أمتار وعمقه نحو 3 أمتار وقد بطّن بالحجارة من الداخل. وهناك أيضا الخندق الذي أقيم أمام السور المحيط بمدينة مسقط. ويقام على هذه الخنادق في العادة جسر متحرّكٌ يرفع عند الحصار بحيث يصعب اقتحام الحصن وينزل وقت رفع الحصار[24].

الأبواب المحصنة

فضل المعماريون الأبواب التي تفتح بشكل عمودي من الداخل عن طريق سلاسل متينة تلتفّ حول بكرة كبيرة. وعند الحصار يقفل هذا الباب بحيث يستحيل فتحه من الخارج لثقله. وتكون الأبواب إما مواجهة لاتجاه الجسر الموصل إليها وأما أن تكون جانبية فتجبر المهاجم على الاستدارة وتقطع بالتالي اندفاعه وتعرّضه لنيران البنادق والسهام والسوائل الحارقة التي تصبّ عليه من خلال السقاطات التي تكون عادة فوق الأبواب كما هو الحال في قلعة نزوى والحزم وجبرين والرستاق ونخل ومعظم القلاع والحصون العمانية التي زوّدت أبوابها بهذه التقنية الفاعلة[25].

يذكر أن الباب الرئيسي لحصن الحزم احتاج إلى أربعة عشر حصاناً لوضعه وتركيبه في مكانه وهو باب ذو سمك استثنائي وقوة عظيمة مما يجعل منه عائقاً منيعاً[26]. ويعلو الباب في العادة عقد مذبّب له مرامي سهام رأسية توجد به سقاطة من جهة اليمين وأخرى من جهة الشمال بحيث لو نجح المهاجم في الهروب من متناول المرامي ينزل عليه الزيت المغلي من السقاطتين.

المداخل المنكسرة

تمتاز القلاع والحصون بمداخلها الحصينة التي تمثّل أرقى ما وصل إليه فنّ التحصين العسكري. وقد استخدم فيها المدخل المنكسر (الباشورة) لكي يجبر المهاجم الذي يخترق الباب الأول على الاتجاه بزاوية قائمة فيعيق اندفاعه ويشلّ بالتالي حركته، ونظراً لازدحام المدخل بالمهاجمين فإنه يسهل بعد ذلك ضربهم. ويعتبر المدخل المنكسر خط الدفاع الرابع عن القلعة بعد الخندق والجسر المتحرّك والباب المحصن، ومن خلال تصميمه

---

24 – عمان في التاريخ، (1995)، ص 287.

25 – حاجي إبراهيم محمد، (1987)، المرجع السابق، ص 294، وعمان في التاريخ، (1995)، ص 286.

26 – باتريشيا جروفز، الحصون الريفية في عمان، ص 11.

نلاحظ أنه يشكّل عائقاً أمام تقدّم القوات الغازية تمكّن المدافعين من كشف المهاجمين الذين يحاولون اقتحام القلعة أو الحصن.

وقد تركت بعض المداخل المنكسرة دون سقف ليسهل قذف المهاجمين بالسهام والزيوت من الأعلى أو توضع من الأسفل قطع خشبية مبللة بالكيروسين وعند اقتراب المهاجم تقذف الشعلة من الأعلى فتشتعل الأخشاب وتلحق الضرر البالغ بالمهاجمين[27].

السقاطات

وهي عبارة عن أجسام بارزة عن السور تستند على كوابيل مفتوحة من أسفلها وتستخدم لإسقاط الزيوت المغلية والقذائف الحجرية على المهاجمين إذا ما تمكّنوا من تجنّب السهام وتهديد السور والمدخل باقترابهم منها، لذا فقد بنيت عادة فوق الأبواب وأحيانا في أماكن أخرى من السور بطريقة تمنع المهاجم من تسلّق السور أو نقبه. وتعدّ السقاطات في مداخل الحزم وجبرين وبلاد صور ورأس الحد من الأمثلة الجيدة لهذه السقاطات في التحصينات العمانية. ويطلق البعض – خطأ – على تلك السقاطات اسم مشربيات لبروزها، مع أن للأولى وظيفة عسكرية بينما للثانية وظيفة مدنية[28]. ويطلق عليها في العمارة الإسلامية تسمية «الشرافات»، لكونها على شكل شرفة بارزة في الأسوار والقلاع وتعلو الأماكن المعرّضة للهجوم، وهي تعدّ من العناصر الدفاعية في العمارة العسكرية. وتعدّ السقاطات المكتشفة في سوريا (دير قيتا) من أقدم النماذج وتعود إلى عام 551م[29].

الأسوار

ومع تطوّر الفكر الهندسي شيدت للقلاع والحصون أسوار سميكة عالية فرضها واقع الحروب في عمان، وكان لبعض القلاع والحصون أكثر من سور لزيادة الحماية بحيث يكون السور الخلفي أقلّ ارتفاعا من الأمامي.

---

27 – حاجي إبراهيم محمد، (1987)، المرجع السابق، ص 295.

28 – حاجي إبراهيم محمد، (1987)، المرجع السابق، وعُمان في التاريخ (1995)، ص 286.

29 – محمد علي، أبو عبيلة، (1998)، أنظمة القلاع الإسلامية في القرن الثاني عشر الميلادي» ص 36.

المزاغل وفتحات المدافع

وهي عبارة عن فتحات عمودية رأسية ضيّقة من الخارج حتى لا يكون الرّامي عرضة للإصابة الخارجية، وهي متّسعة من الداخل لكي تتيح للرّامي حرية الحركة ورصد الخصم على مساحة أكثر اتساعاً. وعادة ما تكون منتشرة في أسوار القلاع وفي الأبراج أيضا لتسهيل تصويب السهم بدقة إلى الخصم دون إعاقة، وغالبا ما يكون خلفها حجرات المدافعين بطريقة تمكّنهم من الدفاع وهم في مأمن من الهجمات المفاجئة أو تقلّبات الجو. أما فتحات المدافع فقد أضيفت إلى التحصينات العمانية بعد إدخال المدفعية كنظام متطوّر في الجيوش الأوروبية. ويعد القرن السادس عشر الميلادي، أي فترة السيطرة البرتغالية على السواحل العمانية، الفترة التي أدخلت فيها المدفعية كسلاح متطوّر في الجيش العماني. وتعدّ قلعة نزوى مثالاً رائعا لهذه التحصينات التي عرفتها حروب المدفعية كما يعدّ برجها الدائري نموذجاً فريدًا لهذا التطوّر الذي عرفته دولة اليعاربة خلال فترة حكم الإمام سلطان بن سيف اليعربي الملقّب «بقيد الأرض» (1649–1679م). وقد سجّل تطوّر في مرامي السهام عند بداية ظهور المدفعية إذ وسّع المدافعون فتحاتها بحيث تتسع لفوّهة مدفع مما أدّى فيما بعد إلى إلحاق الضرر بجدرانها نتيجة قذائف المدفعية.

الأبراج

يعرّف البرج معمارياً بأنه بناء مرتفع يأخذ شكلاً هندسياً قد يكون إسطوانياً أو نصف دائري أو مضلّعاً أو هرمياً وأقسام منها الشرفات ومخازن المؤن وصهاريج الماء ومستودعات السلاح وأدوات الحرب والدفاع، وتتوزّع تقنياته الدفاعية في أماكن مدروسة على الأسوار.

وقد دعّمت بعض الأسوار السميكة بأبراج مختلفة الأشكال منها نصف المستدير ومنها المضلّع ومنها المربّع لتزيد من قوة السور ولتحميه من الهجمات التي قد تصل إلى أسفله عند محاولة نقبه أو تسلقه، كما استخدمت أيضا للمراقبة وزوّدت أحيانا بسقاطات لإلقاء المقذوفات والزيوت المغليّة على المهاجمين. وتتألّف هذه الأبراج عادة من طابقين أو أكثر، ويمكن الانتقال من برج إلى آخر عبر الأسوار دون النزول إلى أسفل، وغالبا ما يكون أعلى الأبراج والأسوار شرفات مسنّنة تمكّن المدافع من الاحتماء خلفها ورمي السهام على المهاجم، ومع تطوّر الفكر الحربي ودخول المدفعية تطوّر مفهوم الأبراج وعُرفت أبراج المدفعية. ويعدّ البرج الدائري الضخم في قلعة نزوى من النماذج الفريدة

لهذا الفنّ المعماري الهندسي، فهو عبارة عن برج دائري ضخم يبلغ قطره نحو 150 قدماً وارتفاعه نحو 115 قدماً، وبه 480 فتحة لإطلاق النيران، ويبلغ عدد سروجه 240 سرجاً وبه 120 عقداً لوقوف الحراس و24 فتحة خصّصت للمدافع الكبيرة[30].

كذلك نصبت على سطح الأبراج آلات حربية ثقيلة كالمنجنيق لقذف القنابل الحجرية وقنابل النفط المحرقة. أما الأبراج نصف المستديرة فقد استخدمت في بعض القلاع والحصون في عمان لأنها تترك منطقة دفاعية ضيقة فتصبح فرص المهاجمين في الاحتماء من مقذوفات المدافعين قليلة، ولهذا استخدم هذا النوع من الأبراج في نقاط الضعف في الأسوار بينما استخدمت الأبراج المربّعة في المناطق التي تكون أقلّ عرضة للهجوم، وتلي الأبراج نصف المستديرة من الناحية الدفاعية المضلّعة لأنها أيضا تغطّي مساحة أكبر وتترك منطقة دفاعية أضيق. وهناك أيضا الأبراج المنعزلة تماما عن القلاع ويتم الاتصال بينها وبين القلعة عن طريق سراديب تحت الأرض كما هو الحال في برجي الخوبار في ولاية سمائل حيث تم ربط هذين البرجين بممرّ سرّي يصلهما ببيت الخوبار المحصّن.

الممرّات السرية

فكّر المعماريون في حفر سراديب تحت الأرض تمكّن المدافعين من الوصول إلى مناطق بعيدة خارج القلعة لا يعرفها إلا الخاصة وهذا يسمح لهم بالاستفادة منها خلال الحصار فتُجلَب المؤن والأسلحة من خلالها بعيدا عن أعين المحاصرين للقلعة فيطول أمد الحصار. كذلك استخدمت السراديب في حالة اليأس في الدفاع عن القلعة إذ يمكن الهروب من خلالها دون أن يشعر بهم المهاجمون. وقد كان الممرّ بارتفاع قامة الإنسان بطريقة تمكّن المدافع من التحرّك بسهولة؛ وتوجد أمثلة للممرّات السريّة في قلعة الحزم، وحصن الرستاق في منطقة الباطنة.

المساجد ودور العبادة

شيّد المعماريون المسلمون مسجداً أو أكثر داخل القلاع والحصون لإقامة الشعائر الدينية، ولا يكاد يخلو مبنى دفاعي من هذه المباني الدينية، كما أنها وجدت عناية فائقة في بعض التحصينات كما هو الحال في حصن جبرين وحصن عبري وقلعة الرستاق.

30 – وزارة التراث القومي والثقافة، ص15.

إسطبلات الخيول

جعل العمانيون إسطبلات الخيول جزءاً من مبادئ التحصين في دولتهم ولذلك نجدهم يراعون هذا المبدأ. فقد خصّصوا جزءاً من التحصين كمرابط للخيول بالقرب من مداخل القلعة حيث التهوية الجيدة وكذلك ليسهل استخدامها في الهجمات المفاجئة على العدو كما هو الحال في حصن جبرين والحزم وغيرها من الحصون العمانية[31]. وفي وقت السلم كانت الخيول توضع في الخندق المحيط بالقلعة. والجدير بالذكر أن المعماريين الهنود شيّدوا حظائر للفيلة داخل القلاع لاستخدامها في الحروب بدلا من الخيول[32].

المخازن

شيّد المعماريون مستودعات ضخمة جعل بعضها تحت الأرض ووضعوا بها كميات كبيرة من غذاء الإنسان والحيوان وذلك لتأمين الطعام والأعلاف لمن يوجد في المبنى وبخاصة أثناء الحصار.

مساكن الجنود

بما أنه لا بد للتحصين الدفاعي من جنود يدافعون عنه فقد اشتملت التحصينات على مساكن للجنود لحماية المبنى. وقد كانت هذه المساكن في الغالب تقع خلف مرامي السهام قرب الأبواب والأبراج كي يلتزم الجنود بأماكنهم الدفاعية بسرعة في حالة حدوث خطر مفاجئ.

مساكن الحكام والأمراء

أنشئت القلاع والحصون لأغراض الدفاع ولسكن الحكام والأمراء، ولتلبية الشروط الصحية والدفاعية، ولطيب هوائها ولبعدها عن ضجيج المدينة وشغب الرعية وهجمات الأعداء. ولذا فقد شيّدوا فيها القاعات والدواوين وزيّنوا غرفها بأحسن الأثاث. وفي الوقت نفسه كانت هذه المباني أشبه بغرف العمليات، فمنها يصدر الحاكم الأوامر إلى المدافعين في حالة الحرب، ومنها ترسم الخطط الحربية وتصاغ لمواجهة الأعداء. وكانت قصور الأمراء مثالاً لتطوّر الفكر الهندسي من الناحية الجمالية أيضا كما هو الحال في حصن جبرين وبيت النعمان في الباطنة.

---

31 – باتريشيا جروفز، المرجع السابق، ص7.

32 – محمد علي أبوعبيلة، المرجع السابق، (1998)، ص 42.

ملاجئ للناس وقت الحروب والحصار

روعي في هذه المباني الدفاعية أن تكون ملجأً يأوي إليه الناس أثناء الحروب والحصار، ولدينا أمثلة كثيرة على هذه التحصينات في عمان. فمثلا تنتشر هذه المباني بكثرة في منطقة الباطنة وتسمّى بالأسوار، وهي عبارة عن سور دائري كبير يضم مجموعة من الأبراج وبعض الغرف، يحتمي به الناس أثناء المعارك والحصار كما هي الحال في سور المغابشة وسور ماجد وسور آل هلال وغيرها.

السجون

تُعدّ السجون من العناصر المعمارية التي أدخلها المعماريون على هذه الأبنية الدفاعية، حيث خُصّصت في أغلب القلاع والحصون العمانية أماكن لسجن الخارجين على القانون، ويتضح ذلك في حصن الجلالي في مسقط وقلعة نزوى والرستاق وغيرها من الأبنية الدفاعية في عُمان.

وهكذا نجد أنّ القلاع والحصون في عمان تجلّت فيها أهم عناصر المعمار الحربي التي وجدت في غيرها من التحصينات الدفاعية في الوطن العربي.

أساليب البناء وطرق الزخرفة

أولاً: أساليب البناء

1. إستخدام الحجارة المشذّبة

لقد عرفت عُمان البناء بالحجارة المشذّبة بشكل متقن، فقد استخدمت فيها الحجارة المشذّبة في واجهة المباني منذ زمن طويل. وتبيّن النماذج التي تم استخدام الحجارة فيها بأن المهارة الفنية والحرفية الموجودة في التحصينات العمانية تعود بالدرجة الأولى إلى وفرة المادة الطبيعية في عمان. وقد سبق أن ذكرنا أن الحجارة العمانية وصلت حتى بلاد الرافدين، وأسهمت بفعالية في النهضة الحضارية لبلاد الرافدين وذلك من خلال استخدام الحجارة المجلوبة من الأراضي العمانية في معابد وتماثيل أشهر المراكز الحضارية فيها كأور ولجش[33]. وقد استمرّ هذا التقليد منذ تلك الأزمنة حتى الفترات الحديثة. واقتصر استخدام الحجارة في التحصينات العمانية في الأغلب على الواجهات الأمامية أو

33- P. Yule and I. Gula, (2001), "**Did The Ancient Mersopotamian Royal Stone Originate in Oman**", pp. 141-153.

في المستويات السفلى للجدار الخارجي وفي بعض الأبراج التي استخدمت لنصب المدافع عليها. وقد وجدت نماذج لأبراج بنيت بالطين واستخدمت الحجارة في المستويات السفلى فيها إلى ارتفاع نحو أربعة أمتار.[34] ويمكن ملاحظة هذا التقليد في بهلى حيث لا تزال بعض الأجزاء من السور الخارجي، وبخاصة في الواجهة الصخرية المنحدرة، إلى جانب الحجارة الموجودة في بعض أجزاء السور الخارجي حتى ارتفاع نحو متر أو أكثر في بعض الجهات. أما في قلعة نزوى فقد استخدمت الحجارة في بناء برجها الراشدي كتحصين قويّ ثابت، ونجد أيضًا أنه تمّ تشييد جدران حصن جبرين من حجارة مشذّبة كما هي الحال في البرجين الركنيّين بعد إضافتهما لاحقا[35].

الطوب الطيني

استخدم الطوب الطيني كمادة في تشييد التحصينات العمانية، حيث أنه كان يصنع عادة من الصلصال الذي يستخرج من مجاري الأودية أو من على ضفافها. ويخلط الطين محلّيا ويشكّل في قوالب مستطيلة ويترك حتى يجفّ، وعندما يصل إلى قوام صلب يجهّز لاستخدامه في أعمال البناء والتشييد، ويبلغ طول الطوبة الموجود في عمان ما بين 40–30 سم، ويتراوح عرضها ما بين 12 و15 سم. كما يوجد في عمان نوع آخر من الطوب الطيني وهو الطوب المخروطي الشكل، وتوجد أمثلة له في بهلى وفي حصن النزاريّين في إزكي، وفي الحصن الأسود في مقنيات، وحصن ينقل، وفي عبري وسمد الشأن، والمنزفة في إبراء. ويوضع هذا الطوب في العادة بشكل رأسي في صفوف فوق الجزء الأعلى من الأساس الحجري[36].

2. الطوب المحروق

استخدم الطوب المحروق في تشييد بعض التحصينات الدفاعية كما يشاهد ذلك في قلعة صحار. ويذكر بعض الباحثين أنّ الطوب المربع المحروق في الأفران كان مستخدما على نطاق واسع في مدينة صحار منذ القرن الرابع الهجري أي العاشر الميلادي. كما أنّ سور المدينة القديم كان مشيّدا من الطوب المحروق أيضا، وكذلك الأبراج القائمة عليه، ويعتقد بأنه استخدم في تشييد الحصن حيث عثر على جدران مشيّدة بالطوب المحروق

34 – القلاع والحصون، (1994)، ص 144.

35 – كالديري، (1994)، حصن جبرين، ص 26.

36 – القلاع والحصون، ص 145.

على مسافة مترين تحت أرضيّة الحصن. ويبدو أنّ الطوب المحروق قد استخدم أيضا في جدران الحصن الحديثة حيث وجدت كميات متراكمة أسفل الجدران الخارجية قبل سنوات قليلة[37].

الصـــاروج

أدخل العمانيون الصاروج في تحصيناتهم كمادة مساعدة لطلاء الطبقة الخارجية منها، وذلك لما يتميّز به الصاروج من الصلابة ضدّ المؤثّرات الخارجية وبخاصة مياه الأمطار التي قد تتسبّب في إتلاف المادة الطينية للمبنى، وذلك لخاصية الحماية التي توفرها طبقة الصاروج كمادة عازلة من المياه. فهو بمثابة إسمنت مائي مؤلّف من الجير والحصاء الكبيرة الحجم. ويستخدم الصاروج أيضا لحماية مجاري الأفلاج والقنوات المائية والأحواض من المياه.

3. الجـــصّ

استخدم العمانيون الجصّ كمادة طلاء خارجية في المباني الدفاعية وكانت تؤدّي غرض الحماية ضد المؤثرات الخارجية وعوامل التعرية الطبيعية. كما أنها استخدمت كمادة عازلة ضدّ مياه الأمطار لما تتميّز به من صلابة ومتانة. كما استخدم الجصّ أيضا في أعمال زخرفة النوافذ والأقواس ورؤوس الأعمدة في عديد التحصينات الدفاعية كحصن جبرين وحصن الحزم[38].

ثانيا: طرق الزخرفة

1. السقوف الخشبية والزخارف الجمالية

ومن الظواهر البارزة في التحصينات العمانية سقوفها الخشبية. وقد حوّل الفنّان العماني هذه السقوف إلى ألوان زخرفية فنيّة أبرز فيها مهاراته وبراعته.

وقد نفّذت الزخارف على معظم السقوف الخشبية بأسلوب الرسم بالألوان الزاهية الجذّابة المتناسقة، وأجمل أمثلة لهذه السقوف موجودة في حصن جبرين المشهور، فالزخارف فيه منفّذة بدقة كبيرة بأسلوب الحفر على الأبواب الخشبية، والرسم على

37 – القلاع والحصون، ص 145 –146.

38 – عمان في التاريخ، ص، 288.

السقوف بألوان جذّابة متناسقة، أما الزخارف داخل القصر ودقة صناعتها فهي دليل واضح على الحساسية الجمالية التي يتميّز بها المعماريون ومهارة صنّاعهم[39].

الستائر الجصية والخشبية

ونظرًا لظروف عُمان المناخية القاسية، عمد أهلها إلى ابتكار وسائل متنوّعة تخفّف عنهم جور طبيعتهم وتخلّصهم من عناء العيش في هذه الظروف. ومن هذه الوسائل فتح نوافذ كثيرة في جدران البناء تسمح بمرور أكبر كمية من الهواء لتلطيف الجوّ ولتخفيف حدّة الحرارة. كما وضعت على نوافذ البيوت والنوافذ الداخلية في القلاع ستائر جصيّة وخشبية ذات ثقوب لتخفيف حدّة الضوء ولتنظيم مرور الهواء الداخل إليها. وتصاميم هذه الستائر عبارة عن اختبار لبراعة الفنّان العماني وذكائه، فقد اتخذها ميدانًا يعرض فيه فنّه ومهارته بأشكال من الزخارف النباتية والهندسية والكتابات التي تضفي على المكان جمالاً وشاعرية وتغمر الجالس بالبهجة والراحة والانشراح، خصوصًا عندما تكون تلك الستائر مطعّمة بقطع الزجاج المتعدّد الألوان. وهذا وقد حصل العمانيون على الأخشاب اللازمة لصناعة الستائر الخشبية من الأرض العمانية التي نمت في تربتها أنواع من الأخشاب الصلبة الصالحة لهذا الفنّ، كما حصلوا عليها من الهند وشرق أفريقيا عن طريق البحر مما ساعد في الحفاظ على تقاليد عمانية في حفر الخشب ظلّت مشهورة لمئات السنين. وتثّبت الستائر الخشبية أو الجصّية بصورة عامة في القسم العلوي من نوافذ الطوابق العليا من الأبنية لأنها أكثر عرضة لأشعة الشمس وحرارتها، أما القسم السفلي فيكسوه زجاج أبيض شفّاف مغطّى بأبواب خشبية صغيرة ذات زخارف جميلة، وفي بعض الأحيان تبنى فوقها نافذة صغيرة دائرية الشكل شبيهة بالنظام الذي نجده في بعض نوافذ البنيان اليمني. وهناك تنوّع كبير في أشكال الستائر الخشبية التي نفّذها النجّارون بتصاميم جميلة يبدو عليها التأثّر بالأساليب الهندية والمغولية والأفريقية في بعض المناطق العمانية. كما نرى في حصن جبرين والحزم[40].

الفناء المكشوف

يعتبر الصحن المكشوف الذي تطلّ عليه الوحدات البنائية من المميّزات البارزة في التحصينات العمانية. وقد جسّد هذا النمط من التخطيط في حصن جبرين حيث تطلّ

39 – أيروس بلد سيرا، (1994)، قصر جبرين وكتاباته، ص 19 –22.

40 – عمان في التاريخ، (1995)، ص 284 –285، والقلاع والحصون، (1994)، ص 152–154.

عليه وحدات البناء المحيطة به، فهو المتنفَّسُ الرئيسي لهذه الوحدات وهو مصدر الضوء والإنارة[41]. وقد اعتُمدَ عنصر الصحن المكشوف في مختلف عمائر الشرق منذ أقدم العصور كردّ سليم على البيئة القاسية بحرارتها وبرودتها، فهو مركز الحركة والتوزيع للوحدات البنائية، وهو مخزن طبيعي يتجمّع فيه الهواء البارد ليلا على شكل طبقات متعاقبة تتبدّد تدريجياً خلال النهار، فإذا أقبل الليل ثانية تجمّعت فيه طبقات أخرى مكانها لتتسرّب في اليوم التالي، وهكذا تبقى دورة الهواء البارد مستمرّة لتحفظ للبناء درجة حرارة مستقرّة طيلة ساعات الليل والنهار. وللصحن المكشوف أهميّة في تخفيف حدّة الضوء المنتشر في وحدات البناء. والتقليل من شدّة الضوضاء الخارجية، كما أنّه يعمل كمرْشَح طبيعي للأتربة العالقة في الهواء. وقد توزّعت وحدات البناء حول الصحن بمجموعتين تُسْكَنُ إحداهما صيفاً والأخرى شتاءً حسب طبيعة الرياح المواجهة للمجموعتين، وقد جسّد هذا النمط المعماري الفريد في بيت الرديدة ببركة الموز[42].

النماذج الأولى للقلاع والحصون العمانية

1. حصن بهلى

إن التاريخ المعماري لهذا الحصن الذي يعتبر من أقدم الحصون العمانية هو مزيج من عدّة فترات تاريخية ممتدّة من عصور ما قبل الإسلام وحتى عهود قريبة، لذا فإن تلك التداخلات المعمارية والتأثيرات الخارجية في عمارة حصن بهلى والآثار المكتشفة به، أكسبته أهمية كبرى خلافاً للعديد من الحصون العمانية.

يجثم هذا الحصن على تلّة مرتفعة حيث يتوسّط واحة النخيل، مما يزيد هذا الحصن الطيني العملاق شموخًا وعلوًّا. والحصن هو عبارة عن مبنى مثلّث الشكل تقريبا تبلغ واجهته الجنوبية نحو 112,5 مترًا، في حين تبلغ واجهته الشرقية نحو 114 مترًا ويبلغ طول السور الشمالي الغربي المقوّس نحو 135 مترًا من البرج الشمالي حتى برج الربح.

والحصن مبنيّ من الطين ويندر استخدام الصاروج فيه عدا في بعض الأجزاء البسيطة منه. ومما يميّز حصن بهلى مساحته الكبيرة والتلّة التي تغطّيها، ممّا أكسبه لقب أكبر وأقدم الحصون العمانية. وبالحصن حوالي سبعة آبار وخمسة أبراج، وهو يتكوّن من ثلاثة أجزاء

41 – كالديري، (1994)، المرجع السابق، ص 16.

42 – عمان في التاريخ، (1995)، ص 282 –283.

رئيسية تقريبًا حسب المتعارف عليه؛ إلاّ أنّنا نجد تضاربا من مصدر لآخر في تحديد مواقع هذه الأجزاء من الحصن حتى في أفضل الدراسات التي أجريت حوله ونشرت، وهذه الأجزاء التالية كما يلي:

أولا: الجزء القديم أو الحصن القديم يعرف بالقصبة وهو أقدم أجزاء الحصن، ويقع في الزاوية الجنوبية الشرقية، ويأخذ الشكل المستطيل تقريبا، وإذا نظر إليه منفردًا عن باقي الأجزاء نلاحظ استقلاله بتحصيناته المنفردة. فهو مزوّد بأبراج في ثلاث زوايا وله بوّابة من جهة الشرق هي البوّابة القديمة للحصن التي تم إغلاقها في زمن النباهنة. ويعتقد بعض الباحثين بأن هذا الجزء يعود إلى العصر النبهاني المبكّر بينما يرى آخرون بأنه يعود إلى أقدم من هذه الفترة وربما يعود إلى الفترة التي سبقت الإسلام.

ثانيًا: وهو بيت الجبل الذي يأخذ امتداد الزاوية الجنوبية الغربية ويقع برج الريح في الركن الجنوبي منه، ويعود تاريخ بناء هذا الجزء إلى فترات متعدّدة تمتدّ من القرن 12 هـ/18م حيث أدخلت عليه إضافات من قبل الحكّام الذين تعاقبوا على حكم عمان بدءاً من دولة النباهنة فدولة آل بوسعيد.

ثالثًا: البيت الحديث الممتدّ من القصبة حتى بيت الجبل، ويعود تاريخ بناء البيت الحديث إلى الفترة الممتدّة من القرن 13 هـ/19م حيث كشفت عن مزيد من الغرف والمنشآت الخدمية المدفونة أسفل الأرضية العليا للحصن.

ويقع المدخل الرئيسي للحصن أو ما يعرف «بالصباح» بين بيت الجبل وبيت الحديث، وهو مزوّد بفتحات علوية لصب الزيت أو الماء أو العسل المغلي، ويوجد في الصباح مصاطب لجلوس الحرس الذين يصطفّون على جانبي المدخل بالإضافة إلى بعض الغرف الأخرى في الجهة الشمالية من الحصن استخدمت كسجون ومرابط للخيل. وقد اتخذ الحكام النباهنة من هذا الحصن مقراً لإقامتهم عندما كانت بهلى عاصمة عمان في بعض فترات حكمهم.

وقد كشفت الحفريات التي أجرتها وزارة التراث والثقافة في حصن بهلى في عامي 1993 و1997 عن نتائج مهمّة تمثّلت في القطع الأثرية المكتشفة، حيث عثر على تمثال مهشّم من الفخّار لفارس يمتطي جوادًا، ذي تأثير ساساني. كما عثر على قطعة مزخرفة من الحجر الصابوني وعثر على جرّة كبيرة من الفخّار لخزن التمور أو لجمع العسل وقطع من الفخّار المحلّى والفخار الصيني (البورسلين).

كما كشفت هذه الحفريات عن بعض المستويات السفلية التي بنيت عليها بعض أجزاء الحصن، وبكل تأكيد فإن نتائج هذه الحفريات ساهمت في إعادة النظر في تاريخ بعض الفترات التي أرّخ بها حصن بهلى.

وقد مرّ الحصن بأربع فترات ترميم حيث يعتقد أن أقدم هذه الترميمات كانت في العصر النبهاني وربّما كان ذلك في عهد الملوك المتأخّرين منهم. أما الترميم الثاني فكان في عهد الإمام ناصر بن مرشد اليعربي (1034–1059هـ/1624–1649م) وقد ذكرت بعض الروايات بأن الحصن قد تحوّل في عام 1610 إلى أنقاض قبل ترميمه من قبل الإمام اليعربي. أما الترميم الثالث فكان في عهد الإمام عزان بن قيس البوسعيدي عام 1868. وكان آخر هذه الترميمات عام 1992 بعد إدراج الحصن في قائمة التراث العالمي سنة 1987 حيث باشرت وزارة التراث والثقافة في وضع التدابير والخطط لإدارة الموقع تنفيذا للشروط والمعايير التي وضعتها منظمة اليونسكو لحماية التراث العالمي.

التحصينات الدفاعية في عهد الدولة النبهانية

الحصن الأسود

تاريخ المبنى

يقع الحصن الأسود في مقنيات شمال شرق ولاية عبري، وقام بتشييده الملك النبهاني فلاح بن محسن، آخر ملوك بني نبهان في القرن السادس عشر الميلادي. والحصن مربّع الشكل أساسا وقد شيّد جزء من الأسوار الجنوبية وربما برج رابع تهدم الآن على حافة الواجهة الصخرية، وما تزال هناك ثلاثة أبراج قائمة. ومعظم الأسوار مشيّدة بالحجر الذي صفّت عليه قوالب اللبن. وباستثناء السور الشمالي الشرقي الذي يرتفع بشكل حاد، والمشيّد من الجلاميد الصخرية، فإن ارتفاع القواعد الحجرية يبلغ نحو مترين، مع أن هناك حوالي أربعة أمتار من مداميك الحجارة المتقطّعة والمشكّلة بصورة غير منتظمة في السور الشمالي. أما الجزء العلوي من السور فهو مشيّد بقوالب مخروطية الشكل موضوعة بشكل رأسي على غرار القوالب المقطوعة مخروطيّة الشكل التي شيّدت بها بعض أجزاء سور بهلى في منتصف القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ويعد هذا دليلاً على استعمال هذه الطريقة منذ أزمنة مبكّرة في عمان.

أما الأبعاد التقريبية للحصن فهي كما يلي: الواجهة أو السور الشمالي الغربي ويبلغ طوله نحو 33 مترًا، أما البرج الغربي فيبلغ قطره نحو 6.5 أمتار، والبرج الشمالي الذي طليت قواعده الحجرية بالجصّ، يبلغ قطره نحو 8 أمتار، في حين أن السور الشمالي الشرقي الذي ينحدر بشكل حاد حتى البرج الشرقي، يبلغ طوله نحو 25 متراً بينما يبلغ قطر البرج الشرقي نحو 7 أمتار. أما الساحة الأمامية للحصن فيبلغ طولها نحو 24 مترًا وعرضها 21 مترًا. وهناك بقايا بناء مستطيل الشكل عبر الواجهة يمتد من المصطبة الشمالية الغربية العالية. ويمتاز المظهر الخارجي لهذا الحصن بمناعته وعلوّه. ولا يزال هذا الحصن المهيب ينتظر الصيانة والترميم ضمن خطط سلطنة عمان الطموحة في هذا المجال.

حصن عبري

يقع حصن عبري في منطقة الظاهرة بولاية عبري. وتبلغ المساحة الإجمالية للمبنى 5400 متر مربع. يذكر أن ربيعة بن خاطر بن سالم اليعقوبي قد شيّده منذ حوالي 400 سنة، أي أن بناءه يعود إلى حوالي عام 1016هـ/1607م، في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، في عهد الحكام المتأخرين من النباهنة، وقبل تولّي الإمام ناصر بن مرشد اليعربي مقاليد الإمامة.

الوصف المعماري

حصن عبري هو مبنى مستطيل الشكل، يتكوّن من جزءين رئيسيّين هما المسجد وعناصر الحصن التي تربط بين مداخله والساحة، إضافة إلى السور الدفاعي الخارجي.

يقع المسجد المسمّى بالمسجد الجامع في الجهة الغربية للحصن ويتكوّن مبناه من قاعتين إحداهما للصلاة وتضمّ المحراب، وقد تم بناؤها بنظام يعتمد على الأقواس والأعمدة المبنية بالجص والصاروج. أما القاعة الثانية فهي أقلّ أهميّة من الأولى وملاصقة لها من الجهة الجنوبية الشرقية وتم بناء غرفتها بأسلوب العقود المنحنية المكوّنة للسقف، والمبنية كذلك بالجصّ والصاروج على قاعدة مستطيلة الشكل. وتشكّل هذه القاعة فضاءً مستقلاً بالنسبة للأولى حيث أن وسائل الربط بينهما تقتصر على بوّابتين صغيرتين على شكل عقود (أقواس) بنيت بالجدار الفاصل بين هاتين القاعتين وتسمح بالمرور بينهما. كما يضمّ المسجد ساحة خارجية شبه مقسّمة إلى جزأين: جزء مرتبط بالقاعة الكبرى والآخر بالقاعة المبنية بالعقود المنحنية. كما يلاحظ بأن الجدار الغربي للمسجد يحتوي على محرابين، ويشهد ذلك على مراحل البناء والتوسعة التي عرفها المسجد.

أما باقي عناصر الحصن فتتكوّن من عدّة مبانٍ ذات وظائف مختلفة موزّعة عبر ساحة الحصن المحاطة بسور دفاعي:

1) مداخل الحصن:

- المدخل الرئيسي للحصن ويوجد بالواجهة الجنوبية ويسمّى صباح الحصن، وبه برج دفاعي عند مدخل الحصن.
- مدخل السوق من الجهة الشمالية، وهو أقلّ أهميّة من الأوّل وله اتصال مباشر بالمسجد. يسمّى هذا المدخل بصباح السنسلة.

2) مبانٍ ملاصقة لمدخل الحصن تقع بين المسجد ومساحة القلعة، وتضمّ مبنًى مكوّنًا من طابقين وبه غرف متعدّدة الأغراض.

3) المبنى الجنوبي الشرقي:

يقع في الركن الجنوبي الشرقي للحصن ويتكوّن من طابقين. يشمل عدّة غرف بالإضافة إلى غرفة أعلى السطح. ويتضح من سماته الهندسية من حيث التوزيع بأنه يشمل غرف الحراس وغرف التخزين، كما يشتمل على برج دفاعي.

4) بيت الوالي:

يقع هذا المبنى في الركن الشمالي للحصن ويتكوّن من طابقين. يضمّ الطابق الأرضي خمس غرف لأغراض المعيشة، أما الطابق العلوي فيحتوي على أربع غرف تستعمل لتخزين المواد الغذائية. ويوجد في هذا المبنى في الناحية الشمالية الغربية برج آخر، ويبدو من خلال عناصره الهندسية بأن المبنى ربّما كان سكناً للوالي أو الحاكم وأسرته، حيث استخدم هذا الحصن أيضا كمقرّ للسلطة السياسية والتشريعية في المنطقة. وقد قامت وزارة التراث والثقافة بترميمه سنة 1995م وافتتح للزوّار منذ ذلك العام.

التحصينات الدفاعية في عهد الدولة اليعربية

قلعة نزوى

تقع قلعة نزوى في ولاية نزوى بالمنطقة الداخلية من عمان. يعود تاريخ تشييد القلعة إلى منتصف القرن السابع عشر الميلادي، خلال فترة حكم الإمام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي (1649–1679) ثاني أئمة الدولة اليعربية حيث أصدر أوامره بالشروع في تشييدها سنة 1656 وقد استغرق تشييدها نحو إثني عشر عاما.

الوصف المعماري

تمثّل قلعة نزوى التطوّر المعماري في نمط القلاع في عمان خلال تلك الفترة القائم على اعتماد برج المدفعية كمظهر معماري حربي جديد أنتجته حرب مدفعية الأبراج فاختلفت بذلك عن معمار قلاع عمان السابقة. لهذا يتميّز بناؤها بأنه على أقصى درجة ممكنة من الصلابة وذلك حتى تستطيع امتصاص ارتجاجات مختلف أنواع المدفعية حين تنطلق من برجها الكبير كونها كتلة حجرية صلبة.

وقد تطوّرت القلعة تطوّرًا طفيفًا بتطوّر تكنولوجيا الحروب، فتمّ إدخال تعديلات على عمارة القلعة حتى يصبح من الممكن وضع مدافع أخفّ وزنًا في مواقع غير مكشوفة داخل القلعة، وذلك بهدف تقليل الغازات الضارة الناتجة عن إطلاق القذائف. وتضمّ القلعة نحو 480 كوّة (مرمى) لرمي الأعداء ضد أي هجوم عليها، كما تضمّ نحو 240 سرجًا للزينة على مدار القلعة، و120 عقدًا لوقوف الحراس و24 فتحة للمدافع الكبيرة[43].

الوصف الإنشائي

القلعة عبارة عن مبنى دائري كبير. وقد ذكرت بعض المصادر أنه بيضاوي ومبني بالحجارة والصاروج العماني، ويبلغ ارتفاعها نحو 115 قدما وقطرها نحو 150 قدما، وهي بمثابة منصّة منبسطة السطح أقيمت على قاعدة مردومة بالحجارة علوّها نحو 15 مترًا، ويتم الصعود إلى أعلى القلعة عن طريق سلّم ضيّق على شكل حرف (ح) بالعربية، حيث يوجد عند كل منعطف منه باب لعرقلة الهجوم المحتمل من الأعداء، ويبلغ عددها سبعة منعطفات تحميها فتحات من الأعلى لإلقاء القذائف منها على المهاجمين، وأسفل كل منعطف بئر أمامه باب ذو متراس، فإذا أفلت العدو من أحد هذه العوائق تعذّر عليه الإفلات من العائق الثاني.

وتوجد في القلعة مجموعة من الآبار التي تزوّدها بالمياه، كما توجد بها غرفتان استخدمتا كمخزنين للأسلحة. ويلاصق قلعة نزوى حصن قديم تذكر الروايات أنه شيّد في عهد إمامة صلت بن مالك 237هـ/851 م وتوجد به مجموعة من الغرف متعدّدة الاستخدامات.

---

43 – قلعة نزوى، ص 15.

استخدمت القلعة سكناً للحاكم وأسرته، كما أنها كانت كذلك مقراً للسلطة السياسية والتشريعية إبّان اتّخاذ نزوى عاصمة للبلاد بالإضافة إلى وظيفتها الأصلية كموقع تحصيني ضد أي اعتداء تتعرّض له المنطقة.

وبعد أن تمّ ترميم القلعة أصبحت معلماً سياحيا مميّزاً يبيّن عراقة الماضي وإشراقة الحاضر وفتحت أبوابها أمام الزوّار.

حصن جبريـن

يقع حصن جبرين في ولاية بهلى في المنطقة الداخلية. قام ببناء الحصن الإمام بلعرب بن سلطان بن سيف اليعربي الذي عرف بـ «أبي العرب» (1091هـ / 1104هـ، 1680م ـ 1692م) لسخائه وكرمه ومواساته للفقراء.

تذكر بعض الروايات أنّه تم بناء الحصن لحماية وادي قريات ـ الذي كان غنيًا بزراعة الحنطة من القبائل المغيرة عليه. وذكرت رواية أخرى أنه بني ليكون قصرا جميلا للإمام وأسرته وذلك بعد انتقاله من مدينة نزوى إلى جبرين واتخاذها عاصمة للبلاد. وهذه الرواية أكثر قبولاً حيث أن حماية المنطقة لا تستدعي بناء قصر جميل كجبرين في حين يمكن إنشاء عدد من التحصينات والاستحكامات الحربية الأخرى كالبروج والقلاع وغيرها، ولكن هدف الإقامة والسكن كان واضحًا من بناء هذه التحفة المعمارية. ويبدو أنّ وظيفته الدفاعية لم تظهر إلا في وقت متأخّر حين استدعت الظروف إضافة برجين ركنيين لتحصين القصر، ورغم زيادة العناصر الدفاعية إلا أنها لم تغيّر من طابعه السلمي[44]، كما كانت هناك مدرسة تخرّج منها العلماء إذ تذكر بعض الروايات أنه تخرّج من هذه المدرسة حوالي خمسين عالمًا في أمور الدين والفقه والشريعة الإسلامية. ويُعدّ حصن جبرين هدية القرن السابع عشر قدّمها الإمام بلعرب بن سلطان اليعربي لنفسه ولأهل عمان.

الوصـف المعمـاري

يتكوّن الحصن من جزأين الأول مكوّن من دورين ويبلغ ارتفاعه نحو 16 مترًا ويحتوي على العديد من الغرف أهمّها غرفة الاجتماعات ومخزن التمور ومربط الخيل.

44 – كالديري (1994)، المرجع السابق، ص 26 .

والجزء الثاني مكوّن من ثلاثة أدوار ويبلغ ارتفاعه نحو 22 مترًا وبه العديد من الغرف أهمها: صالة الشمس والقمر وغرفة الصلاة وجناح الإمام وغرفة البنات وهي منقوشة جصّية وخشبية وزيتية رائعة.

والمحور الرئيسي للبناء يتجه من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي وفي الزاويتين الشمالية والجنوبية ينتهي المبنى ببرجين كبيرين ركنيين دائريين متّصلين بجدران المبنى الرئيسي، ويحيط المبنى سور من اللبن ويتمّ الدخول إليه من بوابة في الزاوية الشرقية.

أما في الداخل فيتسم تصميم المبنى بوجود صحنيْن متجاوريْن تحيط بهما حجرات مختلفة في دورين أو ثلاثة حسب ارتفاع البناء، وترتفع أرضية غالبية الحجرات الرئيسية نحو ثمانية أمتار فوق مستوى الأرض، وهي حجرات استقبال كبيرة مسقّفة من جرائد خشبية. كما أنه يضم ثلاثين غرفة متعدّدة الأغراض لمعيشة ساكني الحصن، وعددًا من الخزانات لحفظ الكتب والمخطوطات والوثائق الدينية والفقهية والتاريخية.

ويتميّز الحصن بوجود ثلاثة أنواع للسقوف العلوية وهي:

أ- السقف المفلطح: وهو أعمّ أنواع الطرز في الحصن وتختلف فيه الزينة باختلاف غرض الغرفة.

ب- السقف المعقود: أضلاعه مزيّنة بحلية مزخرفة من الجصّ وهذا الطراز لا يوجد إلا في ثلاث حجرات.

ج- السقف المعقود عقدًا مسنّمًا: وهو موجود في الطرفين الشمالي والجنوبي من المبنى وفي البرجين الركنيين[45].

كما يتميّز بطرازين من الزخارف وهما:

أ- المركّب من المربّعات.

ب- المركّب من أشكال ثمانية الأضلاع والمربّعات.

ويبدو التأثير الفارسي واضحاً في بعض الغرف الموجودة في الطابق الأرضي، كما أن التأثير في هذه الغرف لم يقتصر على الزخرفة السطحية فحسب بل في الهيئة المعمارية[46].

---

45 - المرجع السابق، ص 77 -78 .

46 - المرجع السابق، ص 80 -81 .

أما الكتابات الموجودة في قصر جبرين فهي منتشرة في كل أرجاء البناء ومكتوبة بمواد متنوّعة وتقنيات مختلفة فمنها ما هو محفور على الخشب ومنها الصاروجي النافر والجبسي الغائر ومنها ما هو مرسوم على الخشب المطلي فوق الأبواب وعلى الجدران والسقوف وإطارات الشبابيك الطبيعية المختلفة[47].

الوصف الإنشائي

تم استخدام عدّة تقنيات للبناء في إنشاء هذا التحصين وفي مواقع متعدّدة منه، من أجل منعة الحصن وقوته، حتى أصبح الحصن قوي البنيان، سميك الجدران، وقد بنيت جدرانه الخارجية من الحجارة المحلية غير المنتظمة وبلغت سماكة المداميك نحو 1.5 متر واستخدم الملاط الجيري والجص في تثبيتها وطليت الجدران بطبقة سميكة من الجير، وكذلك الحال بالنسبة للجدران الداخلية، وأغلب خلطة اللياسة كانت عبارة عن مزيج من الجير والجص[48].

ويعلّل بي. أي. فوكنر وجود المداميك الحجرية السفلية التي تصل إلى ارتفاع نصف متر من دون إضافة ملاط إليها بأنها استخدمت لمنع تسرّب الرطوبة إلى المبنى، وهو تعليل مقبول حيث أن هذه الأحجار غير المتماسكة بملاط، يمكنها منع الرطوبة من التسلّل إلى داخل المبنى، وقد استخدمت هذه التقنية في المساكن العمانية منذ القدم[49].

إستخدامات المبنى

استخدم هذا المبنى كقصر أولاً حسب نظرية كالديري، ثم أضيفت إليه بعد ذلك الأبراج الركنية لاستخدامات الدفاع وقت الحروب[50] ولاستخدام الإمام وأسرته، وحصنًا دفاعيًا وقت الحرب، ومدرسة لتدريس أمور الدين والفقه والشريعة. وبعد أن تم ترميمه سنة 1983 فتحت أبوابه للزوّار، للاستمتاع بهذه التحفة الفنيّة الرائعة.

47 – أيروس بلد سيرا (1994)، ص 27 .

48 – القلاع والحصون، (1994)، ص 136 .

49 – المرجع السابق، (1994)، ص 144 .

50 – كالديري، المرجع السابق، ص 79 – 80.

حصن بيت الفلج

تذكر بعض الروايات أن السيد سعيد بن سلطان (1219هـ/1804م- 1273هـ/1856م) قد أعاد بناء هذا التحصين في حوالي عام (1261هـ/1845م). واتخذه بعد ذلك مقرّا لحماية قوّاته كما أضاف إليه تحسينات ليكون صالحا للسكن. وفي عهد السيد تركي بن سعيد (1288هـ/1871م-1306هـ/1888م) أضيف إلى الحصن المربّع الشكل، برجان دائريان في الركنين المتقابلين في المحورين الشمالي الغربي والجنوبي الشرقي وذلك في حوالي عام (1303هـ/1885م) وذلك بغرض تعزيز القدرة الدفاعية لهذا الحصن. وفي عام (1318هـ/1900م) اتخذه السيد فيصل بن تركي (1306هـ/1888م-1332هـ/1913م) مسكنا خاصا له ولأفراد أسرته[51]. وحصن بيت الفلج رباعي الشكل يتقابل برجاه الركنيّان على خط محوري من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، ويبلغ طول جدرانه الخارجية نحو25 مترًا. وباستثناء الشرفات الخارجية التي تبلغ نحو ثلاثة أمتار، فإن قطريْ البرجيْن يبلغان نحو سبعة أمتار. ويتوسّط مدخله الواجهة الرئيسية للحصن ويرتفع بابه نحو 206 أمتار. ويتكوّن الحصن من دورين، ومدخله على هيئة ممرّ ضيّق يفضي من جهة اليمين إلى درج حجري ضيّق مشيّد في الجدار ويؤدّي إلى الدور العلوي. وتنتظم مكوّنات التحصين من الغرف المختلفة الاستعمال حول فناء مركزي تبلغ مساحته نحو 10.5 مترا مربعا وتقع في مركزه بئر ماء[52].

توجد بالفلج قاعة الاستقبال وغرف التخزين وغرف الحرس في الدور الأسفل كما توجد في الدور العلوي غرف النوم والمعيشة، أما جدران الحصن فقد زينت بزخرفة ونقوش إسلامية رائعة. وقد شيّد هذا المبنى باستخدام الحجارة والجصّ والصاروج وطليت جدرانه بالنورة، واستخدمت الأخشاب المطلية والعوارض المنقوشة المزخرفة في سقوفه[53].

وبعد ترميم السّقف تمّ تحويل الحصن إلى متحف للقوات المسلّحة يحكي تاريخ تطوّر القوّات المسلّحة في عمان وتاريخ تطوّر الأسلحة التي استخدمت في عمان.

51 - الصقلاوي، (2002)، ص 27.

52 - القلاع والحصون، 1994، ص 114.

53 - الصقلاوي، المرجع السابق، (2002)، ص 80 .

حصن بيت الفليج

تاريخ المبنى:

بيت الفليج هو عبارة عن مسكن محصّن يقع في منطقة الفليج بولاية بركاء وقد قام ببنائه السلطان سلطان بن أحمد سكناً لعائلته، وقد شيّده بعد عام 1224هـ/1799م ثم اتّخذه مقرًّا رئيسيًّا له خلال السنوات الأخيرة من حياته (توفي في عام 1229هـ/ 1804م). وقد وصف برترام توماس بيت الفلج بأنه «يسرّ الناظر إليه». وكان السلاطين السابقون يستخدمونه أحيانا كاستراحة ريفية للصيد وقد وجده في حالة إنشائية أفضل من حصون الباطنة، وربّما كان ذلك لأن أساساته مشيّدة من الحجر الكلسي الصلد وليس على الرمال مع أن مياه فلجة كانت تجف أحيانا[54].

وهذا البيت عبارة عن مبنى مستطيل الشكل يبلغ ارتفاعه نحو 6.5 أمتار ويضم برجيْن دائريين للمدفعية مشيّدين بالحجارة ومطليّين بالجصّ ويقع أحد البرجين في الشمال والآخر في الجنوب الشرقي ويبلغ قطر كل منهما نحو 9 أمتار.

وفي السنوات الأخيرة قامت وزارة التراث والثقافة بترميم البيت ويستخدم في الوقت الرّاهن كمسرح تقام عليه بعض الفعاليات الثقافية المميّزة.

الجهود المبذولة لحماية التراث الثقافي والحضاري في سلطنة عمان

مشروع ترميم حصن سمائل

يقع حصن سمائل في منطقة العلاية بولاية سمائل حيث يمتدّ الحصن عبر الواجهة الشرقية المنحدرة لصخرة معزولة شديدة الانحدار ولها واجهة رأسية نحو الوادي، ويبلغ عرضه حوالي 80 مترًا في الجزء الأسفل. والحصن عبارة عن برج دائري كبير مبنيّ بالحجارة والجصّ ويقع عند أعلى نقطة على صخرة عالية الارتفاع في حين يوازيه في الجهة الشمالية من الصخرة برج مربّع الشكل. كما نلاحظ أن هناك أسوارًا عالية غير منتظمة تحيط بمنطقة الحصن وهي تصل بالمعقل الأمامي لواجهة الحصن حيث المدخل الرئيسي للحصن. ويضمّ المعقل الأمامي بيت الوالي وهو مكوّن من دورين وبيت آخر لعقيد العسكر، وعلى مدخل الحصن توجد برزة للحرس (الصباح) وذلك في الجهة

54 – القلاع والحصون، (1994)، ص 187.

الغربية من الحصن، كما توجد داخل الحصن مبان للحامية وبعضها مشيّد بملاصقة السور ومسجد صغير وسجن، ومخزن للأسلحة وآخر للأخشاب.

والحصن الواقع على القمة عبارة عن برج مدفعية قطره 11 مترًا وارتفاعه حوالي 7 أمتار ويبلغ قطر الأرضية المرتفعة حوالي 7,4 أمتار. ويتم الدخول إلى البرج بواسطة درجات تؤدّي إلى باب صغير في الناحية الشرقية، وتبلغ سماكة جدرانه 1,7 متر، وهي مدعّمة من الناحتين الشمالية والجنوبية بركائز طول كل منهما 105 سم وعرضها 80 سم وتمتدّ إلى الأرضية العلوية. ويبلغ ارتفاع هذه الحجرة نحو 3,7 أمتار حتى الجانب الأسفل للعوارض المدعّمة للسّقف والمؤلّفة من جذوع النخيل. ويبلغ عرض فتحات المدافع نحو 1,3 متر ويقلّ هذا العرض في الداخل فيصبح ما بين 80 سم إلى 65 سم.

وتتخلّل الجدران فتحات صغيرة (مزاغل) ربما كانت لإطلاق السهام. وهناك أيضا فتحات عند مستوى الأرضية لا ينكشف إلا الجزء العلوي من عدد منها مما قد يدلّ على أن الأرضية كانت مرتفعة. ولعلّ ذلك يشير إلى التعديلات الضرورية التي كانت تجري عند استعمال المدافع.

أما سطح الحصن فيتم الوصول إليه بواسطة درجات مقطوعة في جذع نخلة عبر فجوة في السقف المؤلف من جذوع النخيل، وتقلّ سماكة السور الخارجي في هذه المنطقة إلى متر واحد ويصبح قطر السطح نحو 8,6 م. وتتّسع قمة السور في الناحية الشمالية حيث تشكّل منصّة للمراقبة.

ويوجد أمام البرج قبو بقنطرة برميلية محفور في الصخر خارج البرج وشرق المدخل يبلغ طوله نحو 4,7 أمتار وعرضه نحو 2,3 متر وعمقه 3 أمتار، وله مدخل بدرج مزدوج بمواجهة البرج. ويعتقد أن هذا القبو كان خزّانًا للمياه وهناك علامات على تحصيصه، وربما استخدم هذا القبو في فترات مختلفة كسجن لمعاقبة المجرمين.

مشروع ترميم حصن ينقل (بيت المراح)

يقع حصن ينقل (بيت المراح) بولاية ينقل في منطقة الظاهرة، ويعود تاريخ بنائه إلى مراحل مختلفة. وتذكر بعض الروايات أنه شيّد قبل الإسلام، لكن يرجّح أنه يعود إلى القرن الحادي عشر الهجري[55].

55 – الصقلاوي، (2002)، المرجع السابق، ص 53 .

الوصف المعماري

من الناحية المعمارية يمكن اعتبار شكل الحصن شبه منحرف. يبلغ طول إحدى واجهتيه الشمالية أو الجنوبية نحو 108 أمتار، كما يبلغ أدنى عرض في واجهته الشرقية نحو 75 مترًا. ويقع المدخل الرئيسي للحصن في الواجهة الغربية، ويكتنف سوره عدد من المرافق المعمارية الرئيسية التي تحيط بصرح تبلغ مساحته 1225 مترًا مربعًا. وأهم هذه المرافق: المسجد: وتبلغ مساحته نحو 143 مترًا مربّعًا، وبيت العود، وبيت الشرق، وبيت المراح، وبيت البصرة، وبيت الحرس.

وقد تم تدعيم سور هذا الحصن بستة أبراج، ثلاثة منها دائرية، وثلاثة أبراج أخرى ذات شكل مستطيل ومربّع وبيضاوي. وتتباين هذه الأبراج في المحيط والارتفاع، كما أن سور الحصن مدعّم بمداميك من قوالب الطين تستند على قاعدة حجرية. وقد استخدم الطوب المخروطي المقطوع في بناء سور الحصن الخارجي.

يعدّ حصن بيت المراح نموذجاً للحارات المحصنة في عمان كما هو الحال في حصن السليف بعبري، وتقوم وزارة التراث والثقافة في الوقت الراهن بعملية ترميمه ترميماً شاملاً.

الخاتمـــة

وهكذا ومن خلال تتبّعنا لمسيرة عمان العمرانية في تاريخها الطويل، والاستدلال ببعض شواهد الحضارات القديمة التي قامت على أرض عمان، أو تلك التي ارتبطت معها بعلاقات أيا كان نوعها، نجد أن حركة التعمير ورحلة البناء لم تكن وليدة الفراغ وإنما يسندها إرثها من التراث العماني القديم الذي تظهر ملامحه على أبنية التحصينات المختلفة والتي اخترنا منها عينات مشهورة ومعروفة. وقد سعينا من خلال استقرائنا لتواريخ تشييد التحصينات العمانية من القلاع والحصون والبيوت والقصور والأسوار وغيرها إلى التأكيد على أنها إرث حضاري مشترك تفاعلت وتعاضدت في إنجازه كافة الحضارات التي تجسّدت على أرض عمان منذ فترة ما قبل التاريخ مرورا بالفترات التاريخية ووصولا إلى الإرث الحضاري الإسلامي المتجدّد في الفترة الحاضرة. فبقدر ما أولاها الأئمة اهتمامهم كالوارث بن كعب والصلت بن مالك وغسان بن عبد الله وغيرهم، نرى أنها استحوذت على اهتمام النباهنة أيضا، ولكنها ليست من إنجازهم وحدهم وإنما شاركهم في ذلك اليعاربة، وعضد هذه المشاركة الأئمة في عهدنا أو السلاطين البوسعيديون من بعدهم.

وهي في هذا العهد تحظى بالاهتمام والرعاية من خلال عمليات الترميم والصيانة وإعادة البناء من خلال جهاز حكومي أسندت إليه مهمة القيام برعاية التراث والنهوض به. وحيث أن كل تحصين يحكي تاريخًا مليئًا بالأحداث في عمان فإنه يمكن اعتباره مدخلاً جيدًا لتناول التاريخ العماني ودراسته، فقد تكشّفت لنا خلال هذا العرض ماهية نظرية بناء التحصينات الحربية العمانية والثوابت التي ارتكزت عليها والمتغيّرات التي تعاملت معها على امتداد فترة التاريخ العماني. ومما لا شكّ فيه أنّ عمليات الإنشاء المختلفة التي يمتاز بها كل تحصين عن غيره، تحتاج منّا إلى وقفة متأنّية ودراسة تفصيلية لكيفية تركيبها وبنيتها المعمارية ودراسة طرق تخطيطها وطرق البناء والمواد المستخدمة التي حافظت على صمودها خلال تاريخها الطويل.

المـراجـــــع

المراجع العربية:

- إبن منظور، **لسان العرب**، دار الصادر، بيروت، 1994.
- أبو عبيلة، محمد علي، "أنظمة التحصين في القلاع الإسلامية في القرن الثاني عشر الميلادي (الكرك والشوبك وعجلون)"، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الآثار والأنثروبولوجيا، جامعة اليرموك، 1998.
- بلد سيرا، أيروس، **قصر جبرين وكتاباته**، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، 1994.
- جروفز، باتريشيا، **الحصون الريفية في عمان**، ترجمة أحمد المخيني.
- دريكو، أنريكو، "المباني التاريخية الحربية في عمان منذ القرن السادس عشر، **ندوة الدراسات العمانية**، ج 6.
- **عمان في التاريخ**، وزارة الإعلام، سلطنة عمان، دار إميل للنشر المحدودة، لندن، 1995.
- كالديري، **حصن جبرين**، وزارة التراث القومي والثقافة،العدد 42، 1994.
- محمد ماهر، سعاد، "الاستحكامات الحربية في مسقط"، **ندوة الدراسات العمانية**، وزارة التراث والثقافة، 1980، ج 2.
- محمد، حاجي إبراهيم، **القلاع وتطور الفكرة الهندسية**، 1987.
- ..... **القلاع والحصون في عمان**، مكتب نائب رئيس مجلس الوزراء، سلطنة عمان، 1994.
- الصقلاوي، سعيد محمد، "موسوعة التحصينات العمانية"، 2002، دراسة غير منشورة.
- **قلعة نزوى**، وزارة التراث القومي والثقافة، سلسلة دليل الزائرين (3)، دون تاريخ.

المراجع الأجنبية:

- Berthoud, T. and Cleuziou. S., (1983) "Farming Communities of the Oman Peninsula and the Copper of Makkan", **Journal of Oman Studies**. Vol. 6. Part 2. pp. 239–246.
- De Cardi, "Survey and Excavations in Central Oman", **Journal of Oman Studies**, Vol. 1, 1976, pp. 109–112.
- Frifelt, K. (1976), "Evidence of a Third Millennium B.C. Town in Oman", **Journal of Oman Studies**, Vol.2. pp. 57–73.
- Hastings, A.Humphriesm, J.H. and Meadow, R.H. (1975), "Oman in the Third Millennium B.C", **Journal of Oman Studies**, Vol. 1, pp. 9–55.
- Yule, P. and Guba, I, "Did the Ancient Mesopotamian Royal Stone Originate in Oman", Adumatu, No. 4, July, 2001, pp. 141–153.
- Potts D. **Four Seasons of Excavation at Tell Abraq**, (1989–1993).
- SAS. Vol. 23, 1993, pp. 117–118.

الملاحـــق

أولاً: الجداول

جدول إحصائي للحصون والقلاع والأبراج في سلطنة عمان

إسم التحصين	محافظة مسقط	محافظة مسندم	محافظة ظفار	المنطقة الشرقية	منطقة الباطنة	المنطقة الداخلية	منطقة الظاهرة	المنطقة الوسطى	المجموع
الحصون	19	8	6	91	171	48	58	0	401
القلاع	16	1	4	65	41	59	8	0	194
الأبراج	57	11	10	333	228	382	63	1	1085
البيوت	14	0	0	28	38	13	9	0	102
الأسوار والبوابات	11	0	0	15	44	16	2	0	88
المجموع	117	20	20	532	522	518	140	1	1870

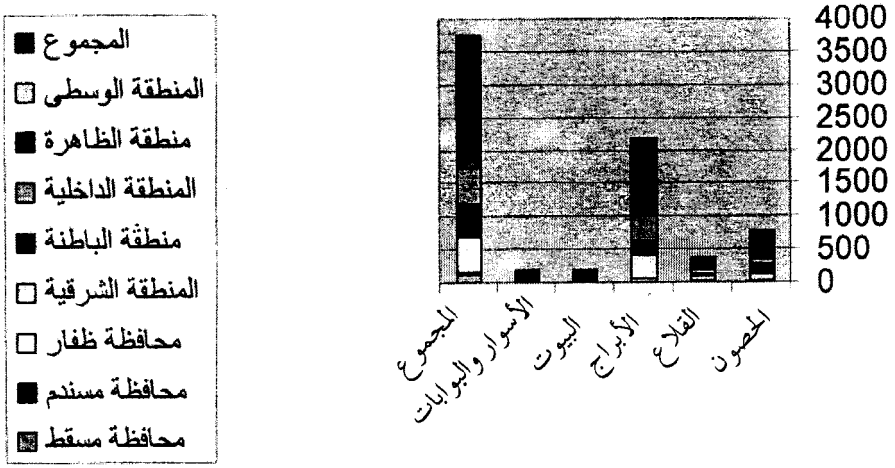

جدول بأسماء المباني التاريخية التي تم ترميمها في محافظة مسقط

م	إسم المبنى	الولاية	تاريخ الترميم	تاريخ الانتهاء	الافتتاح
1	قلعة مطرح	مطرح	4/1980	1982	1982
2	بيت السيدة مزنة	مسقط	1980	1982	1982
3	قلعة الراوية	مسقط	1980	1982	1982
4	سور ماجد	السيب	1991	1994	1994/9/1
5	أبراج الجفنين والرسيل	السيب	1989	1990	1990/10/20
6	بيت المقحم	بوشر	1982/8/10	1993/8/10	1994/4/10
7	حصن قريات	قريات	1983	1986	1986/12/17

جدول بأسماء المباني التاريخية التي تم ترميمها في منطقة الباطنة

م	إسم المبنى	الولاية	تاريخ الترميم	تاريخ الانتهاء	الافتتاح
1	قلعة صحار	صحار	1983	1985	1985
2	سور سهيلة	صحار			
3	أبراج وادي الجزي	صحار	1989	1989	1989
4	قلعة فزح	فزح	2002/10	2003/7	
5	حصن الخابورة	الخابورة	2001	2003	
6	حصن صحم	صحم	1993/12/27	1994/2/14	1994/10/10
7	حصن شناص	شناص	1984/9/12	11/1986	1986/12/14
8	حصن لوى	لوى	2000 / 10	2003/10	
10	حصن السويق	السويق	1992	1994	1994/3/22
11	سور المغابشة سور آل هلال	السويق	1988 1988		
12	حصن الثرمد	السويق	1984	1986	1986/12/21
13	بيت النعمان	بركاء	1988/6	1990	1990/11/4
14	قلعة بركاء	بركاء	84/9/12	1985/6/1	1986/12/10
15	أبراج السوق وعددها (3)	بركاء	1986		
16	حصن الفليج	بركاء	1988	1990	1990
17	قلعة نخل	نخل	1988	1990	1990/11/4
18	مسجد المكبّر	نخل	1998		
19	حصن الحزم	الرستاق	1990	1996	1996
20	حصن الرستاق	الرستاق	1990	1991	
21	مسجد العلاية	الرستاق	1997		
22	مسجد البياضة	الرستاق	1994	1998	
23	برج الردة	الرستاق	1995		

جدول بأسماء المباني التاريخية التي تم ترميمها في منطقة الداخلية

م	إسم المبنى	الولاية	تاريخ الترميم	تاريخ الانتهاء	الافتتاح
1	قلعة نزوى	نزوى	1988	1990	1990/12/16
2	بيت الرديدة	نزوى-بركة الموز	1988	1990/11	1990/12/16
3	سوق نزوى القديم	نزوى	1992	1994	1994/11/16
4	حصن جبرين	بهلى	1976	1983/10	1983/11
5	قلعة بهلى	بهلى	ما تزال قيد الترميم		
6	حصن بدبد	بدبد	1980/8	1980	1980
7	برج قعيد برج الخطم	بدبد- فنجاء	1989	1990	1990/10/30
8	أبراج وادي بني رواحة	سمائل	1993	1993	
9	حصن الصاروج	سمائل	1992/12/1	1993/12	1994/10/7
10	حصن هصاص	سمائل	1992/12/10	1993/12	
11	برج ومسجد زكيت	أزكي	1992/3/22	1992/9/17	
12	مسجد الرحبة	آدم	1990		
13	مسجد البوسعيد	آدم	1994		
14	مسجد منح	منح	1990	1994	
15	مسجد العالي	منح			
16	حصن الفيقين	منح	1990	1994	1994/25

جدول بأسماء المباني التاريخية التي تم ترميمها في منطقة الشرقية

م	إسم المبنى	الولاية	تاريخ الترميم	تاريخ الانتهاء	الافتتاح
1	حصن بلاد صور	صور	1988/10	1990/10	1990/11/11
2	قلعة السنيسلة	صور	1988	1989	1989/11/29
3	حصن العيجه	صور	1991	1993/2/8	1994/9/11
4	مسجد بلاد صور	صور	1990		
5	حصن راس الحد	صور	1989/6	1990	1990/11/7
6	برج بوابة المشارفة	صور	1989	1990	1990/11/11
7	برج الظاهر	أبراء	1988	1989	1989/11/28
8	بيت اليحمدي	أبراء	1988	1989	1989/11/28
9	قلعة الروضة	المضيبي	1988	1989	1989/11/28
10	حصن المنترب	بدية	1989/9	1990	1991/11/10
11	حصن جعلان بني بو حسن	جعلان بني بو حسن	1992/3	1994/7	1994/12/11

جدول بأسماء المباني التاريخية التي تم ترميمها في منطقة الظاهرة

م	إسم المبنى	الولاية	تاريخ الترميم	تاريخ الانتهاء	الافتتاح
1	حصن الخندق	البريمي	1990	6/1993	1994/7/10
2	حصن الحلة	البريمي			
3	حصن مرجب	البريمي	2002	2003	
4	حصن ينقل	ينقل	2002		
5	حصن المعمورة	عبري	2001	2003	
6	حصن عبري	عبري	1991	1995	1995/12/23
7	جامع عبري	عبري			
8	حصن بيت الند	محضة	2003	قيد الترميم	

جدول بأسماء المباني التاريخية التي تم ترميمها في محافظة مسندم

م	إسم المبنى	الولاية	تاريخ الترميم	تاريخ الانتهاء	الافتتاح
1	قلعة بخاء	مسندم	1989/9	1990	1991/3/13
2	قلعة خصب	مسندم	1989/9	1990	1991/11/24
3	حصن دباء	مسندم	1992/2/1	1993/1/31	1994/6/13

جدول بأسماء المباني التاريخية التي تم ترميمها في المنطقة الجنوبية

م	إسم المبنى	الولاية	تاريخ الترميم	تاريخ الانتهاء	الافتتاح
1	قلعة مرباط	المنطقة الجنوبية	1992/6/6	1993/3/9	1993/11/22
2	حصن سدح	=	1992/6/6	1993/6/15	1993/11/20
3	قلعة طاقة	=	1992/7/17	1993/7/17	1993/11/6
4	كوت حمران	=			